

المواقف التربوية و النزعات الإصلاحية في أدب ابن المقفع

سيد فضل الله ميرقادرى^١، ليلا جمشيدى^٢

تاريخ الوصول: ١٤٣٤/٣/٢٤

تاريخ القبول: ١٤٣٤/٩/١٥

إنّ الجانب التربوي من الجوانب الهامة في الأدب، فهناك أدباء يتصف أدبهم بالجوانب الأخلاقية و التربوية يتناولون سلوك المرء في مجالات الحياة و يهتمون في أدبهم ببعض القضايا المتعلقة بالتربية؛ و منهم ابن المقفع الذي اهتم الباحثون اهتماماً بالغاً بكشف جوانب هامة من فكره في مجال الدراسات اللغوية و البلاغية؛ إلا أنّ الجانب التربوي من فكره لم يحظ بتلك العناية. و مما يلفت النظر هو تركيز ابن المقفع في آثاره على الجانب التربوي و محاولته وضع الأهداف التربوية في أدبه، ثم تقديم المناهج التي تحقق تلك الأهداف من خلال تحديد المبادئ التي عمل على توضيحها و التأكيد عليها و على إصلاح الإنسان و استقامته. يهدف هذا المقال باعتماده منهج تحليل النصّ، إلى دراسة و تحليل أهم الآراء و الأفكار و المبادئ التربوية عند ابن المقفع من خلال استقراء آرائه المبثوثة ضمن كتاباته و رسائله. و قد توصل البحث أخيراً إلى أنّ ابن المقفع الأديب كان من الأدباء المربين و المصلحين و عمل في المجالين النظري و العملي، و الجانب التربوي الذي تطرّق إليه خير نموذج لكي يرشد المجتمع الإنساني إلى حياة أفضل تضمن له سعادة الدارين.

المفردات الرئيسية: ابن المقفع، الأدب التربوي، الإنسان، المجتمع الإنساني.

sfmirghaderi@gmail.com

ljamshidi53@yahoo.com

^١. الأستاذ المشارك بجامعة شيراز

^٢. الأستاذة المساعدة بجامعة پیام نور

١ - المقدمة

إنّ الأدب العربي زاخر بالإنتاجات القيمة التي تساهم في تقديم أعظم دور تربوي في حياة الإنسان، يتناولها الدارسون من ناحية اللغة و الأسلوب و البلاغة؛ و لكن قلماً يقوم أحد منهم بدراستها من منظار تربوي أو بدراسة عمل أصحابها كمربين منتمين إلى مدرسة تربوية لها خصائصها و أغراضها و أساليبها؛ بينما أدهم يتصف بالجوانب الأخلاقية و المناهج التربوية، و يتناول سلوك المرء في كل مجالات الحياة و يقدم القواعد المثلى للسلوك في المجتمع لجميع طبقاته من الغني و الفقير و جميع فئاته من الملوك و القضاة و الجبابرة و الجنود، و ... فأصحابه يهتمون بكل القضايا المتعلقة بالتربية، إما بوصف المدبر أو المتدبر و إما بوصف المرّبي أو المترّبي.

فبالنظر إلى أدب هؤلاء نجد رغبتهم في تقديم النصائح و المواعظ التي تشمل جميع قطاعات المجتمع؛ حيث يدعون إلى التحلي بالآداب و الفضائل و الأخلاق الحمودة و الاجتناب من الرذائل و الأخلاق المذمومة. فنراهم يسرون أعماق نفس البشرية واضعين أصولاً و مناهج تربوية، مختارين لها غايات تحقق لها الخير و الصلاح في الدنيا و الآخرة.

و من هذا المنطلق و إجلالاً للدور الذي تؤديه بعض الدراسات في التركيز على الجانب التربوي في الآثار الأدبية و سبقها العلمي و الفكري إلى كثير من القضايا التربوية الأدبية كتلك التي تضمنتها بعض المصنفات كـ «الفكر التربوي عند الخطيب البغدادي» و «أصول الفكر التربوي عند أبي حامد الغزالي، و ابن رشد و ابن خلدون»، و إدراكاً للأهمية التي تتمتع بها البحوث التربوية - الأدبية في التراث الأدبي القديم، فقد لفت النظر أثناء البحث فيها، أن كثيراً من الباحثين و الكتاب المعاصرين يركزون في بحوثهم

و مقالاتهم على آراء ابن المقفع كرجل من رجال الإصلاح، جدير بالدرس و البحث في آرائه التربوية. و رغم هذه الأهمية العلمية للآراء التربوية و رغم استقطاب ابن المقفع لاهتمام العديد من الدارسين و الباحثين الذين كشفوا عن جوانب هامة من فكره في مجال الدراسات اللغوية و البلاغية إلا أنّ الجانب التربوي من فكره لم يحظ بتلك العناية، و لا تزال الدراسات التي أنجزت في هذا المجال قليلة جداً بالنظر إلى كثرة ما كتبه في مجال التربية و التعليم؛ الأمر الذي يعزز من أهمية دراسة آرائه و أفكاره التربوية. لهذا الغرض تتابع المقالة رداً على هذين السؤالين:

- ما هي أهم الجوانب التربوية التي عالجها ابن المقفع في المواقف الإصلاحية متأثراً ببيئته و بما رأى في مجتمعه؟
- هل تناولت تلك الأغراض التربوية التي عالجها ابن المقفع جميع جوانب الحياة في مجتمعه؟

لقد حاولنا خلال هذه الدراسة أن نتناول بالإيجاز حياة ابن المقفع و تأثير عصره و مجتمعه في تكوين فكره التربوي، ثم نستكشف أهم الآراء و الأفكار و المبادئ التربوية عنده في المواضيع التربوية و الإصلاحية من خلال استقراء آرائه التربوية المبثوثة ضمن كتاباته و رسائله، بعد ما تطرقنا إلى مفهوم التربية و معالجتها عند هذا الأديب المصلح الكبير؛ حيث أنّه تناول العديد من مبادئ التربية التي تميزت بالمرونة و التكامل و الشمول لجميع جوانب الحياة الإنسانية في خصوصها و عمومها.

فإذا كنا ندعو اليوم و كل يوم إلى الاستفادة من تجارب الآخرين فإنّ الأولى بنا أن نتزود بالصدق و الإخلاص من تجارب سلفنا الصالح و ما تركه لنا أباؤنا من آراء و أفكار تميزت في كثير منها بالعمق و المرونة و الشمول فضلاً عن قابليتها للتطبيق و مواءمتها لشخصية المسلم و لروح الإسلام. و بما أنّ ابن المقفع هو أديب

عبقري قد تميز بالفكر الأصيل والعمل المخلص والتخطيط السليم بقيمة فكره التربوي والالتزام به والدعوة إليه، فلعل هذه المقالة قد تشجع الباحثين إلى الكشف عن جوانب مشرقة في التراث التربوي للأدباء المسلمين.

١- حياة ابن المقفع وتأثير عصره ومجتمعه في تكوين فكره التربوي

هو أبو محمد عبدالله روزبه بن داؤويه المشهور بابن المقفع، ولد على وجه التقريب عام (١٠٦هـ — ٧٢٤م) في جور (فيروزآباد) بإحدى المحافظات الإيرانية، فارسي الأصل عربي اللغة والبيئة. عرف بابن المقفع لأن والده كان يعمل والياً على خراج فارس من قبل الحجاج فأراد أن يضم إلى ماله شيئاً من مال السلطان فضرب الحجاج على يده حتى تقفعت - أي تشنجت - فعرف منذ ذلك بابن المقفع (ابن النديم، د.ت، ١٢٧).

عكف ابن المقفع على الثقافة والمعرفة في إقليم فارس وأخذ يتعلم الفارسية ويتعرف على الحضارة الإيرانية القديمة، ثم ذهب إلى البصرة، فتلقى فيها مبادئ الفصاحة وفنون البلاغة وأخذ اللغة والشعر عن الأعراب الذين كانوا يفدون إليها، ولم تمض سنوات على شأنه فاستخدمه الولاة وعمل في الدولتين الأموية والعباسية، حيث كان من المخضرمين (المسعودي، ١٩٣١، ٢٤/٢٢٢). ويقال إن ابن المقفع من أشهر الشخصيات الثقافية في تاريخ الإسلام بل من أشهر الشخصيات في ثقافة العالم. وقد رسمت شخصيته الاجتماعية والأخلاقية طريقته الثقافية والأدبية. (آذرنوش، ١٣٨٥: ٦٦٦)

لقد عاش في عهد يعتبره المؤرخون مرحلة تحول في المجتمع الإسلامي بمستوياته المختلفة من الإدارية والسياسية والاقتصادية والحضارية والثقافية، وذلك لأن الدولة

الإسلامية في عهد مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين أصيبت بالضعف والتفرقة وكان العباسيون يحاولون الاستيلاء على الحكم والسلطة بمساعدة الفرس الذين كانوا يحاربون إلى جانب بني العباس لأسباب متعددة، منها: نقمة الفرس على بني أمية بسبب عصبيتهم واحتقارهم للموالي وشعورهم بشيء من الذل القومي، وحنينهم إلى أمجادهم السالفة، وتشجيعهم لآل البيت (ع)، واعتبار الأمويين مغتصبين للخلافة وسعيهم إلى التساوي مع العرب (راجع: ضيف، ١٩٩٦، ٩-١٥).

فمن الطبيعي أن يترتب على هذه المنافسة ما ذكره المؤرخون من القتل وسفك الدماء وينتج عنها تغير وتحول في مختلف المجالات. فكان المجتمع العباسي في هذا العصر مسرحاً للصراعات العنصرية، حيث كانت عرقية حيناً بين العرب والموالي، واجتماعية اقتصادية حيناً آخر بظهور طبقة الولاة وأعوامهم كطبقة متميزة استولت مظاهر الترف والرخاء على حياتها واستقبلت مجالس الأنس والطرب المليئة بالغلما ن والجواري. فلعل إقدام الولاة والحكام على الأمور التي لم يعهدها المجتمع الإسلامي سابقاً، أدى إلى انحسار روعة الدين وأثره العميق في النفوس؛ فضاعت معانيه السامية وبقيت معالمه الظاهرية.

وهذا الجو أدّى إلى ظهور الطوائف المتعددة في إطار الدين الواحد وهو الإسلام، وإلى ظهور اتجاهات فردية واجتماعية كالنسك والزهد والتصوف؛ كما أدّى إلى اتساع جوانب التجربة العقلية عن طريق الترجمة والاختلاط بأجناس بشرية مختلفة وثقافات متنوعة كالهندية واليونانية والفارسية وإلى تطور المعارف الدينية واللغوية والأدبية، واتساع حركة التأليف، وظهور المعارف الفلسفية (راجع: المصدر نفسه ٨٩-١١٧).

أما البيئات الشعبية فتميّزت بالفقر و الحرمان و ذلك بسبب الظلم و عدم التكافؤ الاجتماعي الذي نتجت عنه نقمة على الأوضاع وعلى الذين ارتفعوا في المجتمع دون جدارة و استحقاق. فحاول بعض الأدباء و الشعراء أن يعبروا عن أحاسيسهم الخاصة التي تمسخ هؤلاء و تشوّهم و تحطّ من شأنهم.

على كل حال فقد نشأ ابن المقفع في هذا العصر الذي تميز بكثرة القلاقل السياسية و الاضطرابات الاجتماعية و الاقتصادية و ترعرع في هذا المجتمع الذي تعددت فيه المشارب و اللغات و الثقافات و تفتّحت فيه الأفكار و تنوّعت الميول.

فليس غريباً أن يكون ابن المقفع مفكراً ذا ذهن متفتّح و عقل مستنير وأن يكون أديباً شغل أسلوبه الباحثين و أن يكون مصلحاً أثرت تلك الأوضاع في فكره التربوي، و سعى لإقامة مجتمع صالح عن طريق تحديد العلاقة بين الحكام و الرعية في ظلّ نظام عادل؛ إذ إنّه جمع بين الثقافات الهندية و اليونانية و الفارسية و العربية مع اتصافه بالتعقل و بعد النظر، و تمسك بحكمة القدماء التي اقتبسها من آثامهم و تناول منها ما يحتاج إليه، و استفاد منها في إصلاح الفساد و تقويم الاعوجاج الذي شاهده في مجتمعه، فصاغه بلغة بليغة و في أسلوب أنيق تجلّت فيه قدرته الأدبية و الفكرية و التربوية ليتأدّب به كل إنسان في كل زمان و كل مكان.

٢- مفهوم التربية و معالجتها عند ابن المقفع

للتربية تعاريف متعددة نظراً لتعدد وجهات النظر و الأهداف السامية. منها ما يقوله الإمام البيضاوي: «أصل الرب بمعنى التربية، و هي تبليغ الشيء إلى كماله شيئاً فشيئاً» (عميرة، ١٤٠١، ٦)، و يقال أيضاً: إنّها عملية

النمو «التي يمر خلالها الإنسان من طفولته إلى نضجه، تدريجياً ليتكيف مع بيئته العضوية و الاجتماعية» (عبد الغني، ١٩٨٠، ٢٥)، و يقول الآخرون: «إنّ التربية عملية التناول الواعي للإنسان و للجماعة لتنشئتها على الإسلام عقيدة، و عبادة و سلوكاً، و روحاً تنشئة علمية، و عملية فكرية، و سلوكية، تنشئة تتمثل في كل معطيات الإسلام و متغيرات العصر و متطلباته و اجتهاداته» (محمد جمال، ١٩٨٠، ١٤) و هي عند الخطيب البغدادي «تعني التعليم الذي غالبا إلى تنمية شخصية المتعلم و نضجها و بلوغ كمالها» (أحمد معلوم، ١٩٩٣، ١٣٩).

فالتربية كما نفهمها اليوم عملية معقدة يتفاعل فيها الإنسان بميوله و اتجاهاته و قدراته و استعداداته مع بيئته و مجتمعه و التراث بواقعه و تطلعاته و فلسفاته و حاجاته و مشكلاته، و هذا المفهوم الشامل للتربية هو الذي عاجله ابن المقفع في مؤلفاته التي تهدف إلى إصلاح الإنسان بمختلف جوانبه الفكرية و الروحية و الخلقية و العقلية، و تعتبر أنموذجاً للأدب التربوي و التعليمي الذي يعالج مواضيع إنسانية و فردية و اجتماعية، و يزاوئ العلاقات الإنسانية الدنيوية و الأخروية، و تزخر بالنصائح و الإرشادات و الحكم و المواعظ الموجهة لإصلاح الفرد و المجتمع. فلهذا يعتبر الدارسون مؤلفها من الذين اهتموا بالإنسان كمحور أساسي تدور عليه التربية و التعليم، و من المصلحين و الاجتماعيّين الذين حاولوا إقامة نظام اجتماعي و سياسي على أسس صحيحة، و من أجل أهداف سامية.

فابن المقفع لم يكتف بمعرفته للكون و الإنسان و المجتمع بمجرد معرفة عامة، بل أراد أن تتحول هذه المعرفة إلى حركة فكرية و قوة دافعة لتحقيق مدلولها في العالم الواقع، فلأجل تحقق هذه الغاية استفاد من أسلوبه الأدبي و عقلانيته و قدرته اللغوية، ليهدي المجتمع و أبناءه إلى حياة

مثالية.

٣-١-١- مجال الحكام و ذوي القدرة في المجتمع

هذه الفئة لها أهمية كبيرة لتدبير أمور الأمة و إصلاح شأنها، فلعل هذا الأمر هو الذي قد حمل ابن المقفع أن يقوم بمخاطبة رجال الحكومة، بتسمياتهم المختلفة كالعاقل، ذي العقل، المرء، الرجل، الملك، السلطان، الوالي، صاحب السلطان و غيرها. و وضع إصبعه على أكثر أمراضها في عصره، و ذكر أن هذه الأمراض قد تصيب القطاعات المختلفة فيها، من الحكام و رجال البلاط و القضاة و الجنود و الجبابرة، ثم وصف الدواء الذي يشفيها من هذه الأمراض. فعالج إصلاحها بالعبارات التي تعتبر تلخيصاً لأهم الجوانب التربوية في ذلك القطاع. لعل من أهمها ما تسير في ضوئه العملية التربوية و التعليمية في إصلاح الحاكم أولاً ثم بطانة الحاكم و وزرائه، و المقربين من الحاكم و جلسائه، و الجنود، و القضاة و الجبابرة.

٣-١-١-١- إصلاح الحاكم نفسه

يوصيه بأن يتحلى بخلق و طباع يتناسب مع دوره القيادي؛ لأنه لا يصلح الرعية إلا بصلاح الحاكم و قال عنه:

«أحق الناس بإجبار نفسه على العدل في النظر و القول و الفعل هو الوالي الذي يعدل من دونه، و الذي ما قال أو فعل كان أمراً نافذاً غير مردود». (المصدر نفسه: ٢٥٢)

و قال في موضع آخر:

«ليس للملك أن يغضب لأن القدرة من وراء حاجته. و ليس له أن يكذب لأنه لا يقدر أحد على استكراهه على غير ما يريد. و ليس له أن ييخل لأنه أقل الناس عذراً في تخوف الفقر. و ليس له أن يكون حقوداً لأن خطره قد عظم عن مجازاة كل الناس. و ليتق أن يكون حلالاً فأحق الناس باتقاء الإيمان الملوك» (المصدر نفسه: ٢٥١).

٣- المواقف التربوية و الإصلاحية

لا شك أن ابن المقفع كان متأثراً بما جرى في مجتمعه، فاستوحى مواضيعه التربوية من القضايا السائدة في هذا المجتمع و بناءً على حاجة أبناء مجتمعه إلى الإصلاح، تناول كل القطاعات بتدبيره و تربيته و إرشاده، و لا فرق أن يكون الحاكم أو الرعية، الكبير أو الصغير. فنراه مرة يخاطب الحكام و ذوي القدرة مع اعتقاده بأنها لا تصلح أمور الشعب إذا لم تقم على إصلاحها الحكومة و لا تصلح الرعية إلا بصلاح الراعي و إن حاجة الناس إلى تقويم آدابهم و عاداتهم أشد من حاجتهم إلى طعامهم و شراهم و أنهم لا يصلحون بأنفسهم حتى يكون عليهم من الخاصة رقباء و مؤدبون و علاوة على ذلك يوجه الخطاب للشعب نفسه داعياً أفرادهم إلى توثيق عرى العلاقة بين بعضهم و بعض، فلذلك يقول: «احفظ قول الحكيم الذي قال: لتكن غايتك فيما بينك و بين عدوك العدل، و فيما بينك و بين صديقك الرضاء فإن العدو خصم تضربه بالحجة و تغلبه بالحكام. و الصديق ليس بينك و بينه قاض، فإنما حكمه رضاه» (ابن المقفع، ١٩٨٩، ٢٦٥). و هناك أمور أخرى يخاطب ابن المقفع أبناء المجتمع للتحلي بها أو اجتنابها، كما أنه لم ينس حتى الطفل، حيث قد تناوله برسائله التربوية في كتابه "الأدب الوجيز للولد الصغير".

فبالنظر إلى آثاره نجد أنه قد اهتم في نهجه التربوي الجانبين الأساسيين في المجتمع هما:

١- مجال الحكام و ذوي القدرة ٢- مجال العامة، سنحاول أن نتناولهما بذكر قطاعاتهما المختلفة.

فإذا تأملنا في هذه العبارات نرى أن ابن المقفع في بعضها لا يعتمد على العبارات الصريحة، بل يكتفي بالإشارة الخفية اعتماداً منه على ذكاء الخليفة، كما فعل ذلك في ما اهتم بتقديمه من المواعظ والحكم والإرشادات من خلال الإطار القصصي في كتاب كليله ودمته، و نراه في بعضها الآخر لا يرى بدا من الصراحة، مثلما نجده في رسالة الصحابة بعد أن دعا الخليفة إلى العطف على أهل الشام، فيقول:

«و قد علمنا التاريخ أن الملك إذا خرج من قوم بقيت فيهم بقية يتوثبون بها ثم كان ذلك التوثب هو سبب استئصالهم و تدويجهم» (المصدر نفسه: ٣١٩).

٣-١-٢-بطانة الحاكم و وزراؤه: يعتبر ابن المقفع بطانة الحاكم بماؤه و زينته، و خاصة من عامته، و السنة لرعيته لا تصلح الرعية إلا بهم، و لا تستقيم الأمور إلا على أيديهم و لن تكون البطانة على هذا الوجه حتى يتوفر فيهم شرطان هما: الحسب أولاً و العقل مع ذلك. و الرأي عنده أيضاً أن يكون لكل واحد من هؤلاء البطانة عمل لا يتعداه إلى سواه. فعمل الكاتب غير عمل الحاجب، و عمل الحاجب غير عمل الوزير و هكذا دواليك.

أما الوزراء فيوصي ابن المقفع الحاكم أن يهتم بهم و يجعل لهم شأناً و منزلة عنده، بقوله: «الملك الحازم يزداد برأي الوزراء الخزمة، كما يزداد البحر بمواده من الأنهار» (المصدر نفسه: ٣٠٣)

٣-١-٣-المقربون من الحاكم و جلساؤه

عالج ابن المقفع هذه الفئة لأنها إذا لم تكن حسناً في الخلق و السجيا ستسيء إلى السلطان و إلى الأمة، لما لها من نفوذ و أثر في الحاكم و إصلاحه من مودة و مشورة و لا شك أن صلاح الحاكم في صلاحهم و في

صلاح الحاكم صلاح الأمة بكاملها. فلذلك قال: إثمهم «فناؤه و زينة مجلسه و السنة رعيته، و الأعوان على رأيه و مواضع كرامته و الخاصة من عامته» (المصدر نفسه: ٣١٩).

فكما نرى أن ابن المقفع كان على دراية واسعة بأمور الحكم و مواضع إصلاحه و إعادة النظر فيها و أدرك مواطن الخلل و مصادره في الدولة و المجتمع.

٣-١-٤-الجند: عالج ابن المقفع ما يترتب على حسن تدبير هذه الفئة أو عدمه و نتائجه التي تنعكس على المجتمع، فقد خص الجند في رسالة الصحابة بجزء عظيم من تفكيره و عنايته، و عاب عليهم أموراً كثيرة منها: الجهل و سوء الخلق، و شدة الغيرة و اضطغان بعضهم على بعض، و الميل إلى الترف بسبب كثرة المال، و كثرة الزهو الذي يخشى على الدولة نفسها منه. فاقترح على الحاكم أن يبذل جهده في إصلاح الجند باتباع أمور:

أولها و أهمها: «أن لا يولي أحدا منهم شيئاً من الخراج؛ لأن ولاية الخراج مفسدة للمقاتلة. و لم يزل الناس يتحامون ذلك منهم و ينحونه عنهم لأنهم أهل دالة و دعوى بلاء. و إذا جلبوا الدراهم و الدنانير اجترأوا عليهما، و إذا وقعوا في الخيانة صار كل أمرهم مدخولاً نصيحتهم و طاعتهم فإن حيل بينهم و بين وضعه أخرجتهم الحمية مع أن ولاية الخراج داعية إلى ذلة و عقوبة و هوان. و إنما منزلة المقاتل منزلة الكرامة و اللطف» (ابن المقفع، ١٩٨٩، ٣١٣-٣١٤).

الثاني: أن ينظر الحاكم في أمر الجند، فمن كان غير صالح للعمل الذي يشغله، يعزله و من يتولى الأمور بجدارة فليتمس له مكاناً يليق به. ففي ذلك إصلاح لمن هم فوقه، و تشجيع لمن هم دونه.

الثالث: أن يتعهد الحاكم جنده بالتعليم و التهذيب، و

أن يأخذ بالقصد و التواضع و أن يعودهم العفة و الأمانة، كما يقول: «و من ذلك تعهد أدبهم في تعلم الكتاب و التفقه في السنة و الأمانة و العصمة و المباينة لأهل الهوى و أن يظهر فيهم من القصد و التواضع و اجتناب زي المترفين و شكلهم مثل الذي يأخذ به أمير المؤمنين في أمر نفسه» (ابن المقفع، ١٩٨٩، ٣١٤)

فكما نرى إن ابن المقفع يعتقد بأن الدولة مكونة من أجزاء، لكل واحد منها دور يضطلع به في صلاح الدولة، كما أن أساس تحسين الأمور فيها هو تحقيق الإصلاح بين أفراد هذه الأجزاء.

٣-١-٥- القضية

إذا تأملنا في آثار ابن المقفع نرى أن ما أدركه ابن المقفع في مجتمعه هو أن القضية كانوا يتبعون هواهم و لا يكلفون أنفسهم البحث و التنقيب من جانب و يختلف مصادر الأحكام من جانب آخر و هذا مما أدى إلى إصدار أحكام مختلفة في القضية الواحدة حتى قال: إن «اختلاف هذه الأحكام المتناقضة التي بلغ اختلافها أمراً عظيماً في الدماء و الفرج و الأموال فيستحلّ الدم و الفرج في الحيرة، و هما يحزمان في الكوفة، و يكون مثل ذلك الاختلاف في جوف الكوفة، فيستحلّ في ناحية منها، ما يحرم في ناحية أخرى» (المصدر نفسه: ٣١٦).

فموقع هذه الفئة عند ابن المقفع موقع خاص، و كان أمرهم في نظره عجباً، فقد عجب في رسالة الصحابة من فوضى الأحكام و تناقض الآراء و ذلك حتى في قضية واحدة و بلدة واحدة. و ذلك يرجع إلى حكم القاضي، إذ إن القضية فريقان: فريق يأخذ بالسنة أو القياس و فريق يعمل بالرأي أو العقل. فهؤلاء و أولئك برأيه مخطئون لأنهم يطبقون على الزمن الحاضر حكماً قد لا يصلح إلا للزمن

الماضي محتجين في ذلك بالسنة لافظة و لأنهم يقعون في خطأ التعميم. و أما خطأ العقليين فلأنهم يظنون كذلك مختلفين يعمل كل منهم برأيه و يبلغ به الأمر «أن يقول الأمر في الجسيم من أمر المسلمين قولاً لا يوافقه عليه أحد، ثم لا يستوحش لانفراده بذلك، و امضائه الحكم عليه، و هو مقرر أنه رأي منه لا يحتج بكتاب و لا سنة» (المصدر نفسه: ٣١٧).

و الرأي عند ابن المقفع هو أن يجعل الحاكم من نفسه مرجعاً أعلى في هذه القضايا التي تمس بالقضاء. فإذا اختلفت القضية في شيء ردوه إلى الحاكم و استعان في ذلك بالفقهاء.

٣-١-٦- الجباة

و هم عمال الخراج الذين انتقد ابن المقفع سلوكهم بشدة و صور للحاكم ظلمهم و سوء سيرتهم و محاولة رجاله إخفاء الأمر عنه. فكان جديراً بالدولة أن تراقبهم و تضرب على أيديهم و تريح الناس بهم. و أشار ابن المقفع إلى الخليفة برأي كان يعلم أن تنفيذ عسير، لا يتيسر للدولة إلا بعد أن يستقر لها الأمر و يفرغ رجالها للإصلاح الداخلي الذي يعود على الشعب و الحكومة معاً بالخير و الرخاء. فنصح بأن تمسح الأرض و تكتب أسماء الملاك في سجلات و يكتب أمام كل مالك ذاك المبلغ الذي يؤديه للدولة على الجزء الذي يملكه. كما يقول: «فلو أن أمير المؤمنين أعمل رأيه في التوظيف على الرساتيق و القرى و الأرضين وظائف معلومة، و تدوين الدواوين بذلك، و إثبات الأصول، حتى لا يؤخذ رجل إلا بوظيفة قد عرفها و ضمنها، و لا يجتهد في عمارة إلا كان فضلها و نفعها لرجونا أن يكون في صلاح للرعية و عمارة للأرضين و حسم لأبواب الخيانة و غش الأموال. و

هذا أمر مؤونته شديدة و رجاله قليل و نفعه متأخر»
(المصدر نفسه: ٣٢١-٣٢٢).

فكما يلاحظ أن ابن المقفع كان على دراية واسعة
بأمور الحكم و مواضع إصلاحه و إعادة النظر فيه و
أدرك مواضع الخلل و مصادره في المجتمع.

٣-٢- مجال العامة

من المعلوم أن مجال العامة ليس شيئاً منفصلاً عن المجال
الفردى للأشخاص و قضيتها ليست منعزلة عن قضية كل
فرد، بحيث وجود أحدهما يقتضى وجود الآخر، و هناك
علاقة التأثير و التأثير القائمة بين الفرد و الجماعة. فلذلك
نجد إصلاح كل فرد يتضمن إصلاح العامة. و لهذا رأى
ابن المقفع بأن العامة لا تصلح إلا بصلاح كل فرد في
الأمة؛ فيجب على كل امرئ أن يصلح نفسه أولاً و هذا
الأمر ليس سهلاً لما فيه من منازعة للهوى و مخالفة له و
تعويد النفس على ما تكرهها، حتى يجعل من نفسه قاضياً و
مريباً لها و هذا ما نسميه بالتربية الذاتية التي نقصد بها ذلك
الجهد الذي يبذله الفرد من خلال أعماله الفردية، أو من
خلال تفاعله مع العامة و الجماعة لتربية نفسه؛ فقال عنه:
«على العاقل مخاصمة نفسه و محاسبتها، و القضاء، و
الإثابة لها و التنكيل بها» (المصدر نفسه: ٢٨٦).

حيث إن الإنسان أعلم بمداخل نفسه، وأعلم بجوانب
الضعف و القصور فيها، فلذلك فهو الأقدر على التعامل
مع نفسه و أقدر من غيره على علاج جوانب الضعف و
القصور فيها. فإذا تأملنا في آثاره نرى أنه لم يهمل شيئاً
يرتبط بالإنسان و علاقاته كما ذكر علاقته مع جسده
الذي يكون أقرب الأشياء إلى نفسه و يوصيه بحسن تدبيره
و معرفة ما يضره و ما ينفعه، فيقول: «و أصل الأمر في
إصلاح الجسد ألا تحمل عليه من المأكول و المشارب و الباه

إلا خفافاً، و إن قدرت على أن تعلم جميع منافع الجسد و
مضاره و الانتفاع بذلك فهو أفضل» (المصدر نفسه:
٢٤٦).

أما الفرد فإن المناسبات الجماعية تتحقق له قدراً كبيراً
من الفرص التربوية، كالتدبر في تصرفات الآخرين و تطبيق
أعماله معها، حيث ينبغي على كل فرد أن يجعل الآخرين
مقياساً و معياراً لنفسه و يلحظ سيئاتهم و حسناتهم ليعتبر
منها، فيقول ابن المقفع في هذا الشأن: «على العاقل أن
يتفقد محاسن الناس و يحفظها و يحصيها و يصنع في
توظيفها على نفسه و تعهدها» (المصدر نفسه: ٢٨٧).

و من جانب آخر نرى أنه قد أدرك أهمية العلاقات
الاجتماعية و قد تناولها بين كل الجماعات و قارن بينها
ليتحقق عملية البناء و التربية و التعلم، و تناول علاقة المرء
مع الأصحاب و الإخوان و أرادها نقية طاهرة قوية لتخدم
غرض الصداقة، و يقول عنها: «المودة بين الأخيار سريع
اتصالها، بطيء انقطاعها مثلها مثل كوب مذهب، الذي
هو بطيء الانكسار حين الإصلاح، و المودة بين الأشرار
سريع انقطاعها، بطيء اتصالها، كالكوز من الفخار
يكسره أدنى عبث، ثم لا وصل له أبداً» (المصدر نفسه:
٣٠٣-٣٠٤).

كما يذكر أن الانعزال عن الناس يكسب عداوتهم و
الانتشار بينهم و التساهل مع الجميع يكسب أصدقاء سوء؛
فيقول: «و أعلم أن انقباضك عن الناس يكسبك العداوة و
أن انبساطك إليهم يكسبك صديق سوء و سوء الأصدقاء
أضر من بغض الأعداء. فإنك إن واصلت صديق سوء،
أعيتك جرائمه و إن قطعته شانك اسم القطيعة و ألزمتك
ذلك من يرفع عيبك و لا ينشر عذرك فإن المعاييب تنمي
و المعاذير لا تنمي» (المصدر نفسه: ٢٦٦).

ثم يذكر حقوق الصداقة و يدعو إلى التمسك بحقوق

٤- الوسائل التربوية عند ابن المقفع

من الأمور الهامة في مجال التربية مناسبة الوسائل التربوية للأغراض و الأهداف التي يرنو إليها المربون. و المقصود بالوسائل في هذا المجال، تلك الطرق التي تلعب دوراً في خدمة الأهداف الموضوعية (راجع: عبدالموجود و الآخرون، ١٩٧٩م، و أيضاً: الدمرداش، ١٩٧٩م)، أو بعبارة أخرى كل ما يستعان به من أجل تحقيق الأهداف الواضحة و المحدودة. فبناءً على ذلك أن ابن المقفع كمرّب و مصلح استخدم الوسائل المعيّنة من أجل تحقيق غاياته المثلى للفرد و المجتمع، فلذلك قال:

« لكل مخلوق حاجة، و لكل حاجة غاية، ولكل غاية سبيلاً و أن الله وَّقت للأُمور أقدارها، و هيّاً للغايات سبلها و سبب الحاجات ببلاغها. فغاية الناس و حاجاتهم صلاح المعاش و المعاد» (ابن المقفع، ١٩٨٩، ٢٨٣).
أما الوسائل التي اختارها ابن المقفع لتحقيق أهدافه التربوية و عرض بواسطتها أدبه التربوي هي: العقل و العلم و الدين.

٤-١- العقل

إنّ الله خصّ الإنسان بالعقل ليهتدي به، و هو وسيلة تكريمه و تكليفه و تشريفه. فالعقل هو ملكة التفكير و التدبير الذي ميز الله بها الإنسان دون غيره من سائر الكائنات بفضل ما أودع الله فيه « من قدرة على الاختيار و الإرادة و الإدراك و الفهم و التمييز » (الزنتاني، ١٩٨٤، ٥١١). فمن هذا المنطلق كان اهتمام ابن المقفع بالعقل كأحد المقومات الشخصية الإنسانية المتكاملة و كأداة للمعرفة تساعد الإنسان على إدراك الحقائق و فهم العلاقات المتشابهة بين الإنسان و تلك الحقائق بفضل إدراك الإنسان للمعرفة التي تبدأ بالإحساس و تكتمل «بالإدراك العقلي للمعاني»

الصديق من المواصللة و عدم الهجر بقوله: «اجعل غاية تشبثك في مؤاخاة من تؤاخي و مواصللة من تواصل توطين نفسك على أنه لا سبيل لك إلى قطيعة أخيك و إن ظهر لك منه ما تكره، فإنه ليس كالمرأة التي تطلقها إذا شئت، ولكنه عرضك و مروءتك، فإنما مروءة الرجل إخوانه و أخدانه، فإن عثر الناس على أنك قطعت رجلاً من إخوانك و إن كنت معذراً نزل ذلك عند أكثرهم بمذلة الخيانة للإخاء و المال فيه، و إن أنت معذلك تصيرت على مقاربتة على غير الرضا عاد ذلك إلى العيب و النقيصة فالإتقاد الاتقاد و التثبت التثبت» (المصدر نفسه: ٢٦٥-٢٦٦).

كذلك فقد تطرّق إلى التعامل مع الأعداء بأنّه يحتاج إلى التدبير للاجتناب من شرهم و لتقليل عددهم، و إذا دققنا في آثاره نرى أنّه نجح هذا التدبير في كتاب «كليّة و دمنة» باب الجرذ و السنور، فيقول: «العاقل جاعل القتال آخر الحيل و بادئ بما سوى ذلك» (المصدر نفسه ١٨٩).

كما أنّه قد ذكر التدبّر مع السلطان و أشار إلى حقّ طاعته على الرعية، ثمّ قد بيّن لنا ما يتطلّب التعامل مع الفئة الحاكمة من مخاطر و أذى فقال:

«فإن وجدت عنهم و عن صحبتهم غنى، فأغن عن ذلك نفسك و اعتزله جهدك، فإنّ من يأخذ عملهم بحقه يحلّ بينه و بين لذّة الدنيا و عمل الآخرة و من لا يأخذ بحقه، يحتمل الفضيحة في الدنيا و الوزر في الآخرة» (ابن المقفع، ١٩٨٩، ٢٩٦).

و بمجمل القول: إن الأمور التي تطرق إليها ابن المقفع خير نموذج لكي ترشد المجتمع الإنساني إلى حياة فضلى و تضمن له سعادة الدارين.

٤-٢-١- أنواع العلوم: يرى ابن المقفع أن العلم علمان، علم لتزكية العقول الذي تنمو به العقول و تتفاوت و هو على قمة كل تدبير، و علم المنافع التي يمكن أن تكون للدنيا أو للآخرة (المصدر نفسه: ٢٦٨). أمّا علم الدنيا هو علم الصناعات، و علم الآخرة هو العلم الذي يحتاج الإنسان إليه ليدبر أمر الآخرة. فقال عنه: « لا عقل لمن أغفله عن آخرته ما يجده من لذة دنياه. و ليس من العقل أن يجرمه حظّه من الدنيا بصره بزوالها» (المصدر نفسه: ٣٠٠).

فلذلك يوصينا ابن المقفع بالتعلم و يعتقد بأن العلم لا يحصل الا بالتعلم و حذرنا عن تركه، كما قال: « بأنّ حياة الشيطان ترك العلم و روحه و جسده الجهل» (المصدر نفسه ٢٩٦).

فلا شك أن أغلب أقوالنا، و أفعالنا، و حتى طرق تفكيرنا و اتجاهاتنا نحو الآخرين و المهارات التي نكتسبها تمثل التعلم، و هو وسيلة المجتمعات الإنسانية إلى غرس القيم الأخلاقية الحميدة و تربية النشئ على العادات و التقاليد الاجتماعية، و تطبيعه بثقافة المجتمع و قيمه. و من هنا تأتي أهمية موضوع التعلم و تأثيره في حياتنا العامة و الخاصة و من هذا المنطلق تأتي أهمية دراسة المعلم و شروطه، و المتعلم و شروطه عند ابن المقفع.

٤-٢-٢- المعلم و صفاته: يتمتع المعلم في المدارس التربوية بممّزلة رفيعة و مكانة سامية نظرا لأهميته البالغة في تربية الإنسان؛ غير أن ابن المقفع يعتقد بأن الجهات التي يستطيع الإنسان أن يتأدب عليها متعددة، منها:

٤-٢-١- أهل الولد و أقرباؤه: و هم على رأس المعلمين إذ إنهم يعتبرون اللبنة الأساسية في بناء شخصية الإنسان؛ فلذلك اهتم ابن المقفع بعلاقاتهم مع

(عبدالعال، ١٩٧٨، ١٣٠). فبالنظر إلى كتبه نجد أنّه دائماً يخاطب العقل و العاقل و ذا اللب. كما قال: «فإن لكلّ إمريء لم تدخل عليه آفة نصيباً من اللب، يعيش به لا يحبّ أن له به في الدنيا ثمناً، و ليس كل ذي نصيب من اللب يستوجب أن يسمّى في ذوي الأبواب، ولا أن يوصف بصفاتهم» (ابن المقفع، ١٩٨٩، ٢٨٥).
فلذلك لجأ إلى العقل كوسيلة لتحقيق غاياته التربوية و أهدافه الإصلاحية، لأنّ العقل في رأيه يكون حارساً، و به يتحقق حسن التدبير و به « يحرز الحظ، و يؤنس الغربة، و ينفي الفاقة، و يعرف النكرة، و يثمر المكسبة، و يطيب الثمرة، و يوجّه السوقة... و يكسب الصديق، و يكفي العدو» (المصدر نفسه ٢٩١).

٤-٢-٢- العلم و التعلم: لا شك أن التعلم يعتبر أحد المجالات الهامة في المناهج التربوية، حيث إن أغلب أنواع السلوك الإنساني مكتسبة، بل لا ينمو العقل إلا بالعلم و التعلم؛ إذ إنّ «العلم زين لصاحبه في الرخاء و منجاة له في الشدة» (المصدر نفسه: ٢٩٤) فلذلك يجب على الإنسان أن يكّد في طلب العلم، كما قال: « و لسنا بالكّد في طلب المتاع الذي يلتمس به دفع الضر و العيلة بأحق منا بالكّد في طلب العلم الذي يلتمس به صلاح الدين و الدنيا» (المصدر نفسه ٣٢٠)،

فبناء على هذه الأهمية للعلم، فكان من الطبيعي أن اهتم ابن المقفع بالعلم و العلماء اهتماما بالغا، إذ نرى اهتمامه هذا خلال جميع آثاره، يمكن تلخيصه في نقاط ثلاث:

- أنواع العلوم
- المعلم و صفاته
- المتعلم و صفاته

الشخص و أشار في كتابه "الأدب الوجيز للولد الصغير" إلى واجبهم و حق الولد عليهم.

٢-٢-٢-٢-٢ العقلاء و الأخيار و ذو الفضل في الدين و العلم و الأخلاق: و لا شك أنّ هذه الطبقة من أهم المواقف التربوية عند المرتين و المصلحين، و ذلك لأثرهم في نفوس المتربين. أما ابن المقفع فاهتم بهذا الجانب بتقديم قواعد لتنظيم العلاقات الفكرية و الروحية و الاجتماعية بينهم و بين المتعلم، فقال في كتابه الأدب الصغير: على العاقل أن لا «يصاحب و لا يجاور من الناس ما استطاع إلا ذا فضل في الدين و العلم و الأخلاق، فيأخذ عنه أو موافقا له على إصلاح ذلك فيؤيد ما عنده، و إن لم يكن عليه فضل فإن الخصال الصالحة من البر لا تحيا و لا تنمي إلا بالموافقين و المهذيين و المؤيدين و ليس لذي الفضل قريب و لا حميم هو أقرب إليه و أحب ممن وافقه على صالح الخصال فزاده و ثبته، و لذلك زعم بعض الأولين أن صحبة بليد نشأ مع العلماء أحب إليهم من صحبة لبيب نشأ مع الجهال» (المصدر نفسه: ٢٨٧).

و يقول في موضع آخر: «لا ينبغي للمرء أن يعتد بعلمه و رأيه ما لم يذكره ذوو الألباب و لم يجامعوه عليه فإنه لا يستكمل علم الأشياء بالعقل الفرد» (المصدر نفسه: ٢٩٦) و يؤكد على فضل أهل الدين و ضرورة الاختلاط بهم، حيث يقول:

«اعرف الفضل في أهل الدين و المروءة في كل كورة و قرية و قبيلة. فيكونوا هم إخوانك و أعوانك و أحذائك و أصفياك و بطانتك و ثقاتك و خلطاءك» (المصدر نفسه: ٢٤٨)

٢-٢-٢-٣-٣ الدهر و التجارب: و هي في رأيه خير مؤدّب و معلم فيطلب من المرء أن يأخذ من حياته و تجاربه الخاصة درساً و معلماً. فيقول: «الرأي تبع للتجربة»

(المصدر نفسه: ٢٩٩).

أما المعلم فلا شك أن له أهمية بالغة في تربية الإنسان، لذا ينبغي أن يتصف بصفات خاصة تجعله قدوة صالحة و مثالا يحتذى في التربية و التعليم. فهذه الصفات و إن لم يخصّ بها ابن المقفع فصلاً في كتابه، غير أننا نستطيع أن نلمس من خلال إرشاداته، أنه يفرض على المعلم عدة اعتبارات، في مقدمتها إخلاص النية لله تعالى، و التقوى و عدم الغرور و التواضع و الاعتزاز بالنفس و كثرة العلم و الفكر الرصين و البعد عن الشبهات و الاشتغال بالعلم و طرق الاجتهاد و الاختلاف بين المذاهب و النحل و كمال الهيئة و الوقار و جمال المظهر إلى غير ذلك من الصفات التي لا يمكن الإشارة إلى أقواله في كلها. فنذكر البعض على سبيل الاستشهاد كقوله في عدم العجب و اللجاجة، حيث يقول: «العجب آفة العقل و اللجاجة قعود الهوى» (المصدر نفسه: ٢٩٤). و يقول في موضع آخر، مما يدل على علم العالم هو «تزيينه نفسه بالمكارم و ظهور علمه للناس من غير أن يظهر منه فخر و لا عجب» (المصدر نفسه: ٢٩٦)؛ كما يذكر في تلافيف آثاره أبواب التوفيق في التعليم. فيقول مثلاً في الأدب الصغير:

«من أبواب الترفق و التوفيق في التعليم أن يكون وجه الرجل الذي يتوجه فيه العلم و الأدب فيما يوافق طاعة و يكون له عنده محمل و قبول، فلا يذهب عناؤه في غير غناء و لا تفني أيامه في غير درك و لا يستفرغ نصيبه فيما لا ينجع فيه، و لا يكون كرجل أراد أن يعمر أرضاً قهمة فغرسها جوزاً و لوزاً... و أرضاً جلساً فغرسها نخلاً و موزاً» (المصدر نفسه ٢٩٤).

فإذا ما اتصف المعلم بهذه الصفات كانت العلاقة بينه و بين المتعلم مبنية على المودة و التقدير و الاحترام المتبادل و قائمة على العطف و الثقة. و إذا ما تحققت هذه الصلة بين

على الجهالة و الصلف و إما ألا ينازعوك و يخلوا في يدك ما ادعيت فيكشف منك التصنع و المعجزة» (المصدر نفسه: ٢٦٤).

٢-٢-٣-٤ - الحرص على الاستماع؛ يراه ابن المقفع من الأمور التي ينبغي مراعاتها أثناء الدرس على المتعلم، فيقول: «ليعرف العلماء حين تجالسهم أنك على أن تسمع أحرص منك على أن تقول» (المصدر نفسه: ٢٦٣).

و يقول في موضع آخر: «تعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الكلام و من حسن الإستماع إمهال المتكلم حتى يقضي حديثه و قلة التلفت إلى الجواب و الإقبال بالوجه و النظر إلى المتكلم و الوعي لما يقول» (المصدر نفسه: ٢٧٧).

٢-٢-٣-٥ - عدم التقدم في الكلام؛ نجد أن ابن المقفع جعله من الشروط التي ينبغي للمتعلم الإلتزام به و اتباعه، و في ذلك يقول: إذا رأيت المعلم «يحدث حديثاً قد علمته أو يخبر خبراً قد سمعته فلا تشاركه فيه و لا تتعقبه عليه حرصاً على أن يعلم الناس أنك قد علمته فإن في ذلك خفة و شحاً و سوء أدب و سخفاً» (المصدر نفسه: ٢٦٥).

و قد أورد ابن المقفع في كتاباته و من خلال مبادئه التربوية و ارشاداته التعليمية و قواعده السلوكية صفات أخرى، يجب أن يتحلى بها المتعلم كالتقوى و الاجتهاد و علو الهمة و الصدق و استقامة السيرة و حسن الخلق و الصبر و ...، يبدو من خلالها أن ابن المقفع كان شديد العناية باستقامة سلوك المتعلمين و إكسابهم الخصائص و الصفات الشخصية و العلمية و الاجتماعية التي تعدهم ليكونوا أفراداً صالحين لأنفسهم و للمجتمع. فكما نرى إن التربية عند ابن المقفع قائمة على وجوب إجلال العلم، و

المعلم و طلبته، فإن مهمة كل من المعلم و المتعلم سوف تكون سهلة، ميسرة و محبة إلى النفس بإذن الله تعالى.

٢-٢-٣ - المتعلم و شروطه: إن ابن المقفع قد ذكر في كتبه و خاصة في رسالته للولد الصغير بعض الشروط التي يجب أن يتحلى بها المتعلم منها:

٢-٢-٣-١ - النية و التوجه إلى الله، التي يرافقها التوفيق الإلهي كما قال: «و أعلم بأنني لا أعرف أحداً و إن أدبوه و هذبوه بالمواعظ المتواترة و النصائح البالغة يستطيع الإلتفاف بذلك دون أن يساعده التوفيق الإلهي و يدلّه على قبول تلك الآداب» (شمس الدين، ١٩٩١، ١٤٠).

فالنية عند ابن المقفع بمثابة معين في فطرة الإنسان، إذ يساعده ليعرف به فضيلة الغير و يميّز به النظر الصائب.

٢-٢-٣-٢ - العناية و الرغبة، قد أشار ابن المقفع إلى حقيقة تربوية تعليمية و التي هي موضع اهتمام التربية الحديثة، و هو أن المتعلم إضافة إلى الاستعداد و الميل الفطري يجب أن يكون عنده الحرص و الرغبة على التعلم ليتحقق الموقف التعليمي المرغوب، فلذلك قال:

«إن أول شيء من آدائي و قبول قولي، و حفظ وصيتي، ينبغي أن يكون لك في اكتسابه و ادخاره عناية بغير رغبة، و رغبة صادقة» (ابن المقفع، ١٩٨٩، ٣٣٤).

إذن فالجهد و الإرشادات و النصائح التي يبذلها المعلم لا يكفي، إذا لم توجد في المتعلم الرغبة و النية والاهتمام إلى تعلمه.

٢-٢-٣-٣ - التواضع و عدم الإكثار في الادعاء بالعلم؛ من الأخلاق التي ينبغي للمتعلم أن يتحلى بها خلق التواضع و عدم الإكثار في الإدعاء بالعلم، الذي يعد أهم صفات المعلم و المتعلم على السواء. فيقول ابن المقفع عنه: «لا تكثرن إدعاء العلم في كل ما يعرض فإنك من ذلك بين فضيحتين: إما أن ينازعوك فيما أدعيت فيهمج منك

الحث على طلبه و السعي إليه و توقيير العالم و إعداد المتعلم ليحمل رسالة العلم و يبلغها إلى الناس، عملاً على تأمين التواصل بين حاضر المجتمعات و ماضيها الزاهر.

الحث على طلبه و السعي إليه و توقيير العالم و إعداد المتعلم ليحمل رسالة العلم و يبلغها إلى الناس، عملاً على تأمين التواصل بين حاضر المجتمعات و ماضيها الزاهر.

٣-٤- الدين: بناء على ما أسلفنا يرى ابن المقفع أنّ غايات الإنسان لا تتحقق إلا بالعقل و العلم و لكنّه يعتقد بأنّهما إذا لم يكونا لمرضاة الله فقد صارا سبباً لهلاك الإنسان و شقائه. وذلك لأنّ الدين ضامن لكليهما إذ يقول:

٣-٤- الدين: بناء على ما أسلفنا يرى ابن المقفع أنّ غايات الإنسان لا تتحقق إلا بالعقل و العلم و لكنّه يعتقد بأنّهما إذا لم يكونا لمرضاة الله فقد صارا سبباً لهلاك الإنسان و شقائه. وذلك لأنّ الدين ضامن لكليهما إذ يقول:

«فضل العلم من غير الدين مهلكة، و كثرة الأدب في غير رضوان الله و منفعة الأخيار قائد إلى النار... و العقل غير الوازع عن الذنوب خازن للشيطان» (المصدر نفسه: ٣٠٢)، فلذلك جعل: «الدين أفضل المواهب التي وصلت من الله تعالى إلى خلقه و أحدها في كل حكمة، فقد بلغ فضل الدين و الحكمة أن مدحاً على ألسنة الجهال، على جهالتهم بما و عماهم عنهما» (المصدر نفسه: ٢٩٣).

«فضل العلم من غير الدين مهلكة، و كثرة الأدب في غير رضوان الله و منفعة الأخيار قائد إلى النار... و العقل غير الوازع عن الذنوب خازن للشيطان» (المصدر نفسه: ٣٠٢)، فلذلك جعل: «الدين أفضل المواهب التي وصلت من الله تعالى إلى خلقه و أحدها في كل حكمة، فقد بلغ فضل الدين و الحكمة أن مدحاً على ألسنة الجهال، على جهالتهم بما و عماهم عنهما» (المصدر نفسه: ٢٩٣).

المصادر و المراجع

- [١] آذرنوش، آذرتاش (١٣٨٥ هـ.ش) "ابن مقفع"، دائرة المعارف بزرگ اسلامی، جلد ٤، تهران: بنياد دائرة المعارف.
- [٢] ابن النديم، محمد بن إسحاق. د. ت. الفهرست. بيروت: مكتبة خياط.
- [٣] ابن المقفع، عبد الله. (١٩٨٩م). آثار ابن المقفع. بيروت: دار الكتب العلمية.
- [٤] أحمد معلوم، سالک. (١٩٩٣م). الفكر التربوي عند الخطيب البغدادي. (ط٢). مكتبة لينة للنشر و التوزيع.

فجملة القول إنّ ابن المقفع استغلّ أدبه في سبيل تبیین منهجه الإصلاحی و التربوی. فلا شك أنّ هذا الأمر من أهم الأسباب التي أدت إلى تأثير شخصيته و فكره و آرائه في معاصريه و فيمن جاء بعده من الأدباء الأجلاء الذين نسجوا على منواله في التأليف و اعتمدوا على كتبه كمصادر لمصنفاتهم، و قد استمر تأثيره في المتأخرين و إلى الوقت الراهن حتى أننا لا نكاد نجد دراسة أدبية تربوية تخلو من ذكر اسم ابن المقفع و أقواله. و يكفي ذلك شاهداً على قدره و مكانته الأدبية التربوية.

النتيجة

- [٥] الدمرداش، نوري. (١٩٧٩م). المنهاج المعاصر. (ط٢). الكويت: مكتبة الفلاح.

- أظهرت هذه المقالة أن التربية عند ابن المقفع تربية شاملة، واقعية، مثالية، تنبع من مصادر الفكرة التربوية و ترتبط بالحياة و بالناس و المجتمع و من هذا

- [٦] الزنتاني، عبد الحميد الصيد. (١٩٨٤م). أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية. ليبيا، تونس: الدار العربية للكتاب.
- [٧] شمس الدين، عبد الأمير. (١٩٧٩م). موسوعة التربية و التعليم الإسلامية. بيروت: دار الكتاب اللبناني و دار إقرأ.
- [٨] (١٩٩١م). الفكر التربوي عند ابن المقفع، الجاحظ، عبد الحميد الكاتب. بيروت: مكتبة المدرسة ودار العالمي.
- [٩] ضيف، شوقي. (١٩٩٦م). تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول. (ط ١٦). (ج ٣). القاهرة: دار المعارف.
- [١٠] عبد العال، حسن. التربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري. (١٩٧٨م). القاهرة: دار الفكر العربي.
- [١١] عبد الموجود، محمد عزت و آخرون. (١٩٦٩م). أساسيات المنهج و تنظيماته. بيروت: دار الكتب.
- [١٢] عبود، عبد الغني. (١٩٨٠م). التربية و مشكلات المجتمع. القاهرة: دار الفكر العربي.
- [١٣] عميرة، عبد الرحمن. (١٤٠١هـ). منهج القرآن في تربية الرجال. جدة: شركة مكنتات عكاظ للنشر و التوزيع.
- [١٤] كرد علي، محمد. (١٩٦٩م). أمراء البيان. (ط ٣). بيروت: دار الكتب.
- [١٥] مأمون بن محيي الدين، الجنان. (١٩٩٣م). عبد الله بن المقفع، حياته، آثاره، أدبه. بيروت: دار الكتب العلمية.
- [١٦] محمد جمال، أحمد. (١٩٨٠م). نحو تربية إسلامية. جدة: قامة.
- [١٧] المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين. (١٩٣١م). مروج الذهب و معادن الجواهر. (ج ٤). القاهرة.

References:

- [1] Ibn-Roomi, Abu-Hassan Ali bin Abbas bin Jrij, (1991), Al-Diwaan. Explained and Researched by Abd-al-Amir Ali Mahna, (T2). Beirut: Manshoorat Dar Maktaba al-Hilal.
- [2] Ibn-al-Nadim, Muhammad bin Issac, (Undated), Al-Fehrest, Beirut: Maktaba Khaiyat.
- [3] Ibn-al-Mughaffa' Abd-Allah, (1989), Athaar Ibnal-Mughaffa, Beirut: Daar al-Kutub al-Elmiya.
- [4] Ahmad Ma'loom, Saalek, (1993), Al-Fikr al-Tarbowi end al-Khatib, Baghdad: Maktaba Laiyna Publishing and Providing.
- [5] Al-Demerdash, Noori, (1979), Al-Menhaaj al-Mu'aser, (T2). Kuwait: Maktaba Fallah.
- [6] Al-Zantaani, Abd al-Hamid al-Sayd, (1984), Asas al-Terbia al-Islamiyya fi al-Sunnat al-Nabawiya. Tunisia: Daar al-Arabia lel Kitab.
- [7] Shams al-Din, Abd al-Amir. (1979 B.C). Mowsoo'a al-Tarbia wa al-Ta'lim al-Islamiya. Beirut: Darr al-Kitab al-Lobnani wa Dar Eqra'.
- [8] , (1991), Al-Fekr al-Tarbowi enda Ibn al-Mughaffa', al-Jaahez, Abd-al-Hamid al-Kaateb, Beirut: Maktabata al Madresa wa Dar al-Alami.
- [9] Dhayf, Showghi, (1996), Tarikh al-Adab al-Arabi, al-Asr al-Abbasi al-Awwal, (T16). (Part3). Cairo: Daar al-Ma'aref.
- [10] Abd al-Aal, Hassan, (1948), Al-Tarbiyat al-Islamiya fi Gharn al-Raabe' al-Hejri. Cairo: Dar al-Fekr al-Arabi.
- [11] Abd al-Mawjood, Muhammad Ezzat wa Akharoon, (1996), Asaasiyat al-Manhaj wa Tanzimaatehi, Beirut: Daar al-Kutob.
- [12] Abood, Abd al-Ghani, (1980), Al-Tarbiyat wa al-Moshkelat al-Mojtama, Cairo: Daar al-Fekr al-Arabi.
- [13] Amira, Abd Al-Rahmaan, (1401 AH), Manhaj al-Quran fi Tarbiyat al-Rejaal, Jeddah: Maktabaat Akaaz Public and Provide Company.
- [14] Kurd Ali, Muhammad, (1969), Amra' al-Bayaan, (T3). Beirut: Daar al-Kutob.

- [15] Ma'moon ibn- Mohyi al-Din, Al-Jinan, (1993), Abd-Allah ibn Mughaffa', Hayatehi, Atharehi, Adabehi. Beirut: Daar al-Kutob al-Elmiya.
- [16] Mohammad Jamaal, Ahmad, (1980), Nahwa Tarbiyata al-Islamiya, Jeddah: Tahama.
- [17] Al-Mas'oodi, Abu-al-Hassan Ali ibn al-Hussain, (1931), Marooj al-Zahab wa Ma'aden al-Jawhar, (Part4). Cairo.
- [18] Mikafili, Nichola, (2004), Al-Amir, Translate and Research by Akram Mo'men. Maktaba Ibn al-Sina Publish and Provide.
- [19], (1982), Motarehat, Ta'rib Kheyri Emaad, Beirut: Manshooraat Daar al-Afaagh al-Haditha.

مواضع تربیتی و نکات اصلاحی در ادب ابن مقفع

دکتر سید فضل الله میرقادری^۱، دکتر لیلا جمشیدی^۲

تاریخ دریافت: ۱۳۹۱/۱۱/۱۷

تاریخ پذیرش: ۱۳۹۲/۵/۱

یکی از رویکردهای مهم در ادبیات، رویکرد تربیتی است. در عرصه‌ی ادبیات، بزرگانی وجود دارند که آثارشان رنگ اخلاقی و تربیتی به خود گرفته است. ابن مقفع از جمله ادیبانی است که در آثار خویش، رفتار انسان را در زمینه‌های گوناگون مورد توجه قرار داده و به مسائل تربیتی عنایت ویژه‌ای داشته است. اگرچه پژوهشگران بسیاری با هدف کشف جنبه‌های زبانی و بلاغی، آثار وی را مورد بررسی قرار داده‌اند؛ ولی به جنبه تربیتی این آثار چندان توجهی نشده است. این در حالی است که ابن مقفع در آثار ادبی خویش به مسائل تربیتی و ارائه اصول و تبیین مبانی توجهی در خور داشته و کوشش وی در تعیین اهداف تربیتی و پیش بینی راه‌کارهای تحقق آن بسیار قابل توجه است. در این مقاله با بکارگیری شیوه توصیفی-تحلیلی، سعی بر آن است که اندیشه‌ها و مبانی تربیتی ابن مقفع در زمینه اصلاح و تربیت با دستیابی به آرای پراکنده وی در کتاب‌ها و نامه‌هایش، استخراج و مورد تحلیل قرارگیرد و در پایان به این نتیجه دست یابد که ابن مقفع به عنوان یک ادیب از مربیان و اصلاح‌گرانی است که در دو زمینه نظری و عملی اثر گذار بوده و مضامین تربیتی که او در آثارش بدان پرداخته، از بهترین نمونه‌ها برای راه‌یابی جامعه‌ی انسانی به سوی زندگی برتری است که سعادت دو جهانی انسان را تضمین می‌کند.

کلید واژه‌ها: ابن مقفع، رویکرد تربیتی، انسان، جامعه انسانی.

sfmirghaderi@gmail.com

ljamshidi53@yahoo.com

^۱. دانشیار دانشگاه شیراز.

^۲. استادیار دانشگاه پیام نور.

Educational Procedure and Reforms in Ibn-e-Moqaffe's Literature

Seyed Fazl Ullah Mirghaderi¹, Leila Jamshidi²

Received:2013/2/5

Accepted:2013/7/23

One of the important procedures in literature is educational one. Ibn-e Moqaffe is one of the pioneers in the literary domain whose works have variously dealt with cultural and educational aspects. Human behavior in various fields has also taken into account by Moqaffe. Although most of the researchers have studied his works with the aim to discover linguistic and rhetorical aspects, but none of them could pay attention to his educational aspect. Ibn-e Moqaffe pays heed to educational subjects, presenting principles and remarking its purposes. He is very remarkable in attempting to determine educational goals and anticipating ways of their accomplishment. Using descriptive- analytic method, this study tries to review Ibn-e Moqaffe's educational thoughts and principles on pedagogy and to achieve sporadic views of him which have been extracted from his books and letters. The findings show that Moqaffe as a literati, is a mentor and reformer who has influence in both theoretical and practical aspects. Educational concepts in his works are best for the advancement of a human society toward better life which guarantees human bliss in this world and afterword.

Keywords: Ibn-e Moqaffe; Educational Procedure; Human; Human Society.

¹. Associate Professor, University of Shiraz, sfmirghaderi@gmail.com

². Associate Professor, University of Shiraz, ljamshidi53@yahoo.com